Thematic Unity and Comparative Analysis between "Itbaq al-Atbaq" by Ibn Abi Ishaq (d. 1166 AH) and "Atwaq al-Dhahab" by al-Zamakhshari (d. 538 AH): A Study of Selected Models[#]

Hussein A. H. Kittaneh[(1)] **Ahmad R. F. Al-Sharman[(2)*]**

(1) Professor, Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Arts and Humanities, Al al-Bayt University, Mafraq – Jordan.
(2) Researcher, Al al-Bayt University, Mafraq - Jordan.

Received: 11/1/2026
Accepted: 5/4/2026
Published: 30/6/2026

* ***Corresponding Author:***
alshrmana790@gmail.com

DOI:https://doi.org/10.59759/art.v5i2.1738

Abstract

This research examines the harmony and comparative aspects within two prose works: Itbaq al-Atbaq by Ibn Abi Ishaq and Atwaq al-Dhahab by al-Zamakhshari. By focusing on selected models, the study highlights the features of thematic unity in both texts and illustrates the points of similarity and divergence in terms of semantics, rhetorical style, the aesthetic and cognitive impact of repetition, and grammatical annexation (Idafa). The intentionality of the prose discourse is shaped by its focus on preaching, guidance, and moral orientation, utilizing high-level rhetorical and communicative arguments. The study concludes with the significance of prose harmony in enriching meaning and showcasing its elegance across different eras.

Keywords: Itbaq al-Atbaq, Thematic Unity, Comparative Analysis (Muwazanah), Atwaq al-Dhahab, Ibn Abi Ishaq, al-Zamakhshari.

[#] This article is derived from the Master's thesis of the researcher Ahmad Raed Falah Al-Sharman, entitled: *"Thematic Unity and Comparative Analysis between Ibn Abi Ishaq's Kitab Itbaq al-Atbaq and Al-Zamakhshari's Atwaq al-Dhahab: A Study of Selected Models".*

الوحدة الموضوعية والموازنة بين كتاب "إطباق الأطباق" لابن أبي إسحاق (ت1166هـ) وكتاب "أطواق الذهب" للزمخشري (ت 538هـ): دراسة في نماذج مختارة

حسين أحمد حسين كتانة[1] أحمد رائد فلاح الشرمان[2]

(1) أستاذ، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة آل البيت، المفرق – الأردن.

(2) باحث، جامعة آل البيت، المفرق – الأردن.

ملخص

تناول هذا البحث الانسجام والموازنة في كتابين نثريين هما إطباق الأطباق عند ابن أبي إسحاق وأطواق الذهب للزمخشري، مركّزة على نماذج مختارة كشفت عن ملامح الوحدة الموضوعية لكل منهما، وبيان وجوه التشابه والاختلاف بينهما من ناحية الدلالة، والأسلوب البياني، والتكرار وأثره الجمالي والدلالي، والإضافة النحوية، وتتشكل قصدية الخطاب النثري بميزة الوعظ والإرشاد، والتوجيه الأخلاقي، والحُجّة البلاغيّة والإبلاغية ببنية عالية رفيعة، وتخلص الدراسة إلى أهمية الانسجام النثري في إغناء الدلالة، وبيان رونقها عبر الأعصر.

الكلمات الدالة: إطباق الأطباق، الوحدة الموضوعية، الموازنة، أطواق الذهب، ابن أبي إسحاق، الزمخشري.

المقدمة.

اتجهت لسانيات النص بشكل عام إلى دراسة النص اللغوي في أطر الترابط والتماسك والتميز والانتظام، سواء أكان النص نثرياً أم شعرياً، ليصل إلى الوحدة الموضوعية والتكامل بين النصوص إجمالاً، ولتحقيق هذه الوحدة توجد آليات داخل النص الواحد كانسجام النص؛ إذ يؤدي الانسجام دوراً مهماً في ضمان الوحدة الموضوعية للنص، فالنص المنسجم يجب أن يكون له سياق وهدف حتى تكون بنيته سليمة وأفكاره مترابطة منطقية.

وجاء هذا البحث بعنوان: "الوحدة الموضوعية والموازنة بين كتاب إطباق الأطباق لابن أبي إسحاق وكتاب أطواق الذهب للزمخشري "نماذج مختارة" وقوفا على أهم الأسس التي اتكأ عليها العالمان في بناء النص النثري، ويمتاز البحث بتركيزه على الدلالة، والإضافة، والانسجام الموضوعي، والبناء البياني لكل منهما.

وجاء هذا البحث لهدف بيان تجليات النص النثري، وبيان مكنوناته العميقة في النصوص الأدبية النثرية التراثية.

فإن هذا البحث سيركز على الاتساق الكلامي، والمعارضة والموازنة في الكشف عن جواهر البناء الفني عند الكاتبين.

في حدود علم الباحث، هذا الكتاب – إطباق الأطباق– صدر حديثا، وبناء عليه لم أجد أي دراسة سابقة سواء أكانت جزئية أم شمولية لهذا الكتاب التراثي.

ولغرض تحقيق هذا الهدف عمد الباحث تقسيم البحث إلى تمهيد، ومبحثين رئيسين، المبحث الأوّل: الانسجام في المقالات، والمبحث الثاني: أهم وجوه التشابه والاختلاف بين إطباق الأطباق لابن أبي إسحاق وأطواق الذهب للزمخشري.

قصد الإطار النظري، بصورة موجزة بتعريف لحياة الكاتبين، والسمات الفنية للكتابين، ووضع مهاد نظري للانسجام لغة واصطلاحا. وشرعنا في الجانب التطبيقي إلى الانسجام الموضوعي عند ابن أبي إسحاق، وبيان وجوه التشابه والاختلاف بين الكتابين من حيث علم البيان، والتكرار، والإضافة وأثرها الدلالي.

مشكلة البحث

تتمثل مشكلة البحث في غياب الوحدة الموضوعية في الخطاب النثري، ولاسيما فيما يتعلق بالتشابه والاختلاف في كتابين نثريين، وبيان وجوه التشابه والاختلاف في المواضيع، واللغة، والأسلوب، وغيرها من أساليب البناء النصي.

أهداف البحث

يهدف البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1. بيان الوحدة الموضوعية، وإبراز الموضوع الأساسي الموحد الذي تكوّن عند الكاتبين.
2. الكشف عن ملامح التشابه والاختلاف بين الكاتبين.

أسئلة البحث

1. ما الذي يميز كتاب إطباق الأطباق عن غير ما جاء به الزمخشري في مقالاته؟
2. هل أضاف أسعد أفندي من حيث الصور البلاغية والأساليب الفنية على سابقه الزمخشري؟
3. ما المعيار الموضوعي الذي قام عليه المؤلفان في بناء المقالات؟
4. كيف تتسم المقالات بالانسجام الأسلوبي والتماسك النصي من خلال كتابي إطباق الأطباق

لابن أبي إسحاق وأطواق الذهب للزمخشري؟

أهمية البحث

تنبعث أهمية هذا البحث من أربعة أمور رئيسة، وهي:

1. جدة الموضوع وأصالته، لعدم وجود تحليل بلاغي سابق لكتاب إطباق الأطباق، وهذه الدراسة ستفتح آفاقا علمية جديدة للباحثين لدراسة ظواهر بلاغية لسانية لم تتمكن هذه الدراسة من الوقوف عليها.
2. ندرة البحث فما يتعلق بالوحدة الموضوعية في النثري العربي بوجه عام.
3. معرفة أساليب جديدة متعلقة بالدرس العثماني من خلال الصورة البلاغية واللغة الإبداعية الرفيعة.

منهجية البحث

تقوم منهجية البحث على المنهج الأسلوبي والتحليل البلاغي في دراسة النصوص المختارة من كتاب إطباق الأطباق لابن أبي إسحاق وأطواق الذهب للزمخشري، مستفيدا من الأسلوبيات المعاصرة وتقاطعاتها.

التمهيد: ابن أبي إسحاق اسمه، ونسبه، ومشيخته

هو محمد أسعد بن إسماعيل العلانية وي الرومي ويحمل الرقم (69)، ألقابه أسعد أو محمد أسعد، والاسم المشهور به ابن أبي إسحاق، وتقلد منصب شيخ الإسلام الثالث من عائلة والده أبي إسحاق، ومفتي الدولة العثمانية بعد عزل الشيخ السابق زين العابدين الحسيني أفندي، وذلك في 24 رجب 1161 هـ = 20 تموز 1748م، ولد في مدينة إسطنبول في شهر ذي القعدة من العام، 1096هـ، الموافق أيلول – تشرين الأول من العام 1685م (الشقيرات، 2002، ص23).

الزمخشري

هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الزمخشري الخوارزمي جار الله؛ لأنه جاور مكة زمنا ولقّب نفسه بجار الله فصار هذا اللقب علما عليه، ولد بزمخشر إحدى قرى خوارزم، يوم الأربعاء سنة 467هـ، وتوفي ليلة عرفة سنة ٥٣٨هـ (الزمخشري، د.ت، ص9).

السمات الفنية لكتابي إطباق الأطباق وأطواق الذهب

تتركز السمات الفنية في الكتابين على المستوى البلاغي والخيال التصويري، فتشمل تكوين الصور من الاستعارة والمجاز والكناية والتشبيه، ولوحظ عندهما تنوع الصورة في المقالة الواحدة، إذ قال ابن أبي إسحاق في مقالته التاسعة عشرة: "فكن كالكفر الراسي في التيقور، حتى لا يرتجك عصوف الفجور (أسعد أفندي، 2024، ص87)، هذا المثال جاء موافقا لعنوان المقالة لتصوير الوقار والطيش والخفة، وتظهر أنظمة ترميزية كالتجسيد والتعليل والتوكيد في مواضع متعددة، مع توظيف واسع للجناس والاقتباسات والأسجاع البلاغية، كما يتكرر التوظيف في بنية النص وتراكيبه لخلق كثافة دلالية ومتانة تأثيرية على القارئ.

المبحث الأول: الانسجام في كتاب إطباق الأطباق عند ابن أبي إسحاق، دراسة في نماذج مختارة

الانسجام لغة

يعود أصل اللفظ إلى الجذر اللغوي (سجم)، و"السين والجيم والميم أصل واحد، وهو صب الشيء من الماء والدمع. يقال سجمت العين دمعها. وعين سجوم، ودمع مسجوم. ويقال أرض مسجومة: ممطورة" (ابن فارس، 1979، ص136-137)، ويقال: "سجم: سجمت العين الدمع، والسحابة الماء، تَسْجِمُهُ وتَسْجُمُهُ سَجْمًا وسُجومًا وسَجَمانًا: وهو قطران الدمع وسيلانه، قليلًا كان أو كثيرًا، وكذلك الساجم من المطر، والعرب تقول: دمع ساجم، ودمع مسجوم: سجمته العين سجمًا، وقد أَسْجَمَهُ وَسَجَّمَه" (ابن منظور، ص280).

وتشير التعريفات اللغوية إلى أن معنى الانسجام يدور حول الصب، وهو ما يدل على الاتساق والتناغم.

الانسجام اصطلاحًا

"هو ما يُضَمَّن حُكمًا عن طريق الحدس والبديهة، وعلى درجة من المزاجية حول الكيفية التي يشتغل بها النص، فإذا حكم القارئ على نص بأنه منسجم؛ فلأنه عثر على تأويل يتقارب مع نظرته للعالم؛ لأن الانسجام غير موجود في النص فقط، ولكنه نتيجة ذلك التفاعل مع مستقبل محتمل" (بوقرة، نعمان، 2009، ص92) .

"ويندرج الانسجام تحت معايير لسانيات النص، وهو ذلك الفرع من فروع علم اللغة، الذي

يهتم بدراسة النص بوصفه الوحدة اللغوية الكبرى، وذلك بدراسة جوانب عديدة، أهمها: الترابط أو التماسك، ووسائله وأنواعه، والإحالة، أو المرجعية، وأنواعها، والسياق النصي، ودور المشاركين في النص: المرسِل والمستقبِل" (الفقي، 2000، ص36).

ويظهر الانسجام من خلال الروابط وتضمن شروط الربط الدلالي ومنها وجود علاقة بين دلالات ألفاظ العبارات ومعانيها، وأن العلاقة الدلالية هي أساس الروابط الجُمْلية حتى في ظل غياب أدوات الربط المعروفة.

ويتحقق الانسجام على أربعة مستويات:

أولاً: الانسجام على المستوي الدلالي، وفيه: وسائل الانسجام، والبنية الكبرى، وفيه: مفهوم البنية الكبرى، والقواعد الكبرى.

ثانياً: الانسجام على المستوي التداولي: أصبح البعد الرئيس للدراسة النصية وصف النصوص ضمن إطارها التواصلي واستثمار العديد من البحوث التداولية مع استغلال مفهومي النشاط والحدث، وقصد ضبط الهدف من إلقاء النصوص.

ثالثاً: الأفعال الكلامية: وتسمي الأحداث التي تنجز خلال عملية التلفظ أفعالاً كلامية، والاستعمال اللغوي ليس إبراز ملفوظ لغوي ما، بل هو إنجاز حدث لغوي اجتماعي في الوقت نفسه.

رابعاً: النص والسياق: ويختص مفهوم السياق بأنه إعادة بناء نظري لعدد من ملامح التواصل، تلك الملامح التي تشكل جزءاً من القيود التي تجعل الملفوظات بوصفها أحداثاً كلامية مصيبة، وهدف التداولية أن تصوغ هذه القيود، أي أن تبين كيفية ترابط الملفوظات في هذا السياق.

ويمكننا حصر الآليات التي تحقق لسياق النص الانسجام فيما يلي:

- "المرسِل: وهو المتكلم أو الكاتب الذي ينتج القول.
- المتلقي: وهو المستمع أو القارئ الذي يتلقى القول.
- الحضور: وهم مستمعون آخرون حاضرون يسهم وجودهم في تخصيص الحدث الكلامي.
- الموضوع: وهو مدار الحدث الكلامي.
- المقام: وهو زمان الحدث التواصلي ومكانه، وكذلك العلاقات الفيزيائية بين المتفاعلين بالنظر إلى الإشارات والإيماءات وتعبيرات الوجه.
- القناة: كيفية التواصل بين المشاركين في الحدث الكلامي: كلام، وكتابة، وإشارة.
- النظام: اللغة أو اللهجة أو الأسلوب اللغوي المستعمل.

- شكل الرسالة: ما هو الشكل المقصود: دردشة، جدال، عظة، خرافة، رسالة غرامية.
- المفتاح: ويتضمن التقويم: هل كانت الرسالة موعظة حسنة، شرحًا مثيرًا للعواطف.
- الغرض: أي أن ما يقصده المشاركون ينبغي أن يكون نتيجة للحدث التواصلي" (خطابي، 1991، ص53).

ويمكننا تطبيق هذه المعايير على كتاب: إطباق الأطباق لابن أبي إسحاق، على النحو الآتي:

- **النموذج الأول:**

يقول ابن أبي إسحاق (في الإنفاق وكراهية الإمساك)، وجاء فيها: "السَّماحُ خِيْم، عَطَاءٌ مِنْ رَبٍّ رَحِيم، ومَنْ مَوَّله الله مِنَ الحلِّ وأسعَدَه، وفَّقَه للإنفاقِ وأصعَدَه، الجَواد وإنْ لَمْ يَكُن له سَواد، وَلَوعٌ على الإعْطاء مِنَ العَواد، والسَّمِيح لا يَكُونُ شَحِيحًا بِحُلول الخُلُول، إذ عَرْفُ الوَرْدِ لا يَنْغَرِفُ بالذُّبُول، وارْبَحِ المالَ عندَ أهلِ الكَمال، ما يُبْذلُ بالمعروف كلَّ الحال، فكُن نالًا عالًا هشّ المِكَسِر، ولا تكن رِذالًا تالاً، وأنتَ مُكْثِرٌ" (أسعد أفندي، 2024، ص89).

وبرزت عناصر الانسجام في شخصية المتكلم، وبدا في صورة الناصح للمتلقي، وهو المستمع الذي افترض فيه المتكلم الإمساك والإقتار، أو عدم البذل ما يتناسب مع دخله.

أما عنصر الحضور، فقد راعى المتكلم التأثير فيهم بإيراد الحكم العامة التي تناسب عموم السامعين، مثل: واربح المال عند أهل الكمال، ما يُبذَل بالمعروف كل الحال، فكان ذلك بمنزلة دعوة عامة للسامعين.

وجاء (ذم الإمساك والشح) بمنزلة الموضوع، وهو مدار الحدث الكلامي، ونبه فيه المتكلم إلى مزايا الإنفاق وثوابه، وعيوب البخل ومثالبه.

أما المقام فجاء عامًّا يشمل كل زمان ومكان: كون المدار الحدث الكلامي مما يندرج تحت توجيهات الدين الحنيف لكل عصر.

أما التفاعلات الفيزيائية قصد بها الإيماءات والإشارات، التي تضمن انسجام الخطاب، فتمثلت في تعبيرات الوجه التي حض عليها المتكلم، مثل: فكن نالًا عالًا هشَّ المِكسِر، ولا تكن رذالًا تالًا وأنت مُكثِر، وهو ما اتصل بالقناة التي تمثلت في الكلام المكتوب، والإشارات المتعلقة بالوجه، واتصلت القناة بمضمون الخطاب.

واتخذ النظام نمط اللغة العربية الفصيحة التي عبرت عن مضمون الخطاب، وجاء شكل

الرسالة في صورة النصيحة والموعظة الودية بين المتكلم والسامعين والقراء.

وجاءت الرسالة تمثل المفتاح الإيجابي؛ لحضها على الأسلوب الأمثل للتقرب من الله، وهو الإنفاق ابتغاء مرضاته، واشتملت على المثيرات والمحفزات العاطفية، كالترغيب في الإنفاق بتمثيل ملامح الوجه التي تميل إلى البشر والبشاشة، في مقابل التنفير من الشح والبخل؛ بتمثيل الوجه المناقض لنظيره الأول، من ملامح العبوس والانقباض.

واتسق ذلك كله مع الغرض، وهو ترغيب المتلقي في الإنفاق والصدقة، والابتعاد عن الشح والإمساك.

- **النموذج الثاني:**

ومن ذلك مقالته المعنونة (في التوحيد والتبتُّل إلى الله)، وجاء فيها: "رُبَّ عَبْدٍ للهِ يُمْضي بالعَمَلِ الصالحِ أمَداً، ولا يُشركُ بعبادة رَبِّه أَحَداً، يَرى بِأَنْوارِ التَّجلِّي ما سَيَرى في الوحدَة، وهو مَعَ اللهِ أينَما كان لا وحده، قَلْبُه لاهُوتيٌّ، وقَالِبُه ناسُوتيٌّ، يَعدُّ نَفْسَه كالذَّرِّ المَنْهوش، وفي خَشية الله كالذَّرة الرَّعُوش، مُحيّاه مُصفرٌّ لا مِن تَحسُّر سُعاد السِّيادة، بل إِبْريز مِن تَأْثر كيمياء السَّعادة، يُشاهِدُ الحقَّ في الخَلْقِ بالغيبوبة عمّا سَواه، وَيُنال الفيض المقدَّس بأنوار لا إله إلا الله، طُوبى للموحدين الصّاحين، وتَعْسًا للعاسفين اللاهين، فكُن مِن المُتَبَتِّلين إلى الله وهم غَيره لا يَعْنون" (أسعد أفندي، ص116)، ﴿**ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم أَجرٌ غَيرُ مَمنُونٍ**﴾ [فصلت: 8] برز المرسِل (المؤلف) في صورة الناصح المعنيّ بإنتاج النصيحة والقول، وهو ما يشير إلى نوعية المتلقي أو المستمع أو القارئ الذي يتلقى القول، والذي يُفترض أنه من العوام.

وتمثل عنصر الحضور من المستمعين الحاضرين في مجلس القول، وهم الذين يسهم وجودهم في تخصيص الحدث الكلامي، أو القارئ المعني بموضوع (التوحيد)، وهو مدار الحدث الكلامي.

واتسق ذلك مع المقام، وهو زمان الحدث التواصلي ومكانه المفتوحان، اللذان لا يتحددان بزمان أو مكان محددين، مع مراعاة العلاقات الإشارية بين المتفاعلين، التي جاءت عامة في المقالة، فضلًا عن النظر إلى الإشارات والإيماءات وتعبيرات الوجه، التي تمحورت حول علامات السعادة والبشر.

أما القناة ووسيلة التواصل بين المشاركين في الحدث الكلامي، فقد تنوعت بين: الكلام، والكتابة، ومفارقة بين وقت التكلم والحضور الحقيقيين، أو القراءة التي تمثل الحضور الافتراضي.

أما النظام وهو اللغة أو اللهجة أو الأسلوب اللغوي المستعمل، فقد جاء فصيحًا يستعمل الألفاظ التي تميل إلى الندرة والغرابة أحيانًا، مثل: لاهوتي – ناسوتي – منهوش – إبريز.

واتخذ شكل الرسالة العظة والنصيحة، على النحو الذي ضمن إثارة العواطف؛ بالاقتباس من القرآن الكريم، وربط النصيحة بتعاليم الإسلام، وهو المفتاح للاتصال بالمتلقي، بحيث اتسق ذلك كله مع الغرض من المقالة، فارتبط ما يقصده المشاركون به.

- **النموذج الثالث:**

كذلك، مقالته المعنونة (في الدعاء في الغيبة، وصدق المودة والمؤاخاة)، وجاء فيها: "الإيمانُ بالغَيْبِ مُمَدَّحٌ في كتاب الله بِلا رَيب، فدعاءُ الغائبِ لِلغائب، في الإصابةِ سَهمٌ صائب، والحُبُّ بالغَيْبوبَةِ عَنِ الحضور، أَشَدُّ تأثيرًا في الصُّدور مِنَ الظُّهور، لا عِبْرَةَ للبَصارَة، وإنَّما العِبرَةُ للبَصيرة، في السِّرِّ سَرٌّ، وفي الجَهْر هَجْرٌ، فكن صَدوقًا، واتْلُ لِسانكَ بالجِنان، وإيّاكَ مِن الرَّجاسَةِ في السِّرِّ والعَلان" (أسعد أفندي، ص136–137).

وتجلى المرسِل في صورة المؤلف أو الناصح الذي ينتج القول، في مقابل المتلقي الذي يتلقى القول، سواء أكان من الحضور الفعليين، وهم مستمعون حاضرون يسهم وجودهم في تخصيص الحدث الكلامي، أم القارئ الافتراضي الذي ينتمي إلى زمن ما بعد الكتابة.

وجاء مدار الحدث الكلامي على (الدعاء بالغيب)، وتعالق مع المقام: زمان افتراضي يتصل بالسر والغيب، ومكان الحدث التواصلي الافتراضي غير المحدود، وكذلك العلاقات الفيزيائية التي تظهر بفعل الحركة سواء أكانت باليد أو بالرأس وهكذا... بين المتفاعلين، كلهج اللسان بالدعاء (واتلُ لسانك بالجِنان).

وتمثلت قناة التواصل في الاعتماد على الكلام وقت الحدث التواصلي، أو القراءة بعد انتهائه وتدوينه.

واعتمد النظام أو اللغة على الألفاظ الفصيحة الموحية التي تضمن التأثير في عاطفة المتلقي؛ لاعتماد شكل الرسالة على الموعظة المباشرة (فكن صدوقًا، واتلُ لسانك بالجِنان، وإياك من الرجاسة في السر والعلان).

وجاء الغرض متسقًا مع الفكرة المرجوة من المقالة، التي رغب المؤلف في تثبيتها لدى المتلقي.

المبحث الثاني: أهم وجوه التشابه والاختلاف بين إطباق الأطباق لابن أبي إسحاق وأطواق الذهب للزمخشري

كان كتاب "أطواق الذهب في المواعظ والخطب" للزمخشري قد حاز قبول عدد من العلماء على مر العصور، "وأدى الإعجاب به إلى النسج على منواله، فاتّبع سبيله في هذا المِضمار كثير، أذكر بعضا منهم سمّى كتابه بقريب من اسمه، وجعل نسجه على منواله؛ من ذلك: ابن الجوزي في كتابه أطباق الذهب، والأصبهاني في كتابه أطباق الذهب، وأمير شعراء العصر الحديث أحمد شوقي في كتابه أسواق الذهب (الزمخشري، ص7)، فقد اتخذ صاحبه مضمار المواعظ وتذكير الإنسان بعبارات أدبية بليغة قد أحكم ألفاظها وأوجز منطقها، وانتقى عبارتها، وممن نحى هذا النحو ابن أبي إسحاق في العصر العثماني في كتابه "إطباق الأطباق".

وسنختار عدة مقالات متخصصة؛ من كتاب: "إطباق الأطباق" لابن أبي إسحاق، لنقارن بين مباحثها الدلالية المختارة وبين نظيراتها في كتاب: "أطواق الذهب في المواعظ والخطب" للزمخشري، من محاور أسلوبية دلالية عدّة، وهي:

1- الكناية والاستعارة والتشبيه

أورد ابن أبي إسحاق في مقالته الثانية والعشرين المعنونة (في المُتَّبع للشهوات): "خُلِقْتَ للتَّعَبُّد، وتَرَهَّقْتَ بالتّعَبُّد، وكُنْتَ إِبْريزًا فَغَشَشْتَ، ونَحِيصًا فَعَشَشْتَ، قَدْ اقْتَفَيتَ الشَّهَوَاتِ، فَأَلقَيْتَ إِيّاكَ إلى الشَّحَواتِ" (أسعد أفندي، ص93).

وقد أورد أسعد أفندي بن أبي إسحاق لفظ (الشحوات) من باب الاستعارة التصريحية، فشبه المتاهات بالخطوات، وحذف المشبه وصرح بالمشبه به، وهو ما جسَّم المتاهات وعبر عنها بالخطوة التي هي السبب المؤدي لها.

وأورد الزمخشري في المقالة الرابعة والثلاثين المعنونة: "اجتهد في تحصيل المجد" من كتابه (أطواق المواعظ والخطب) ما نصه: "لا تَقْنَعْ بالشَّرَفِ التَّالِدِ، وَهُوَ الشَّرَفُ لِلْوَالِدِ، وَاضْمُم إِلى التَّالِدِ طَرِيفًا؛ حَتَّى تَكُونَ بِهِما شَرِيفًا" (الزمخشري، ص107).

لجأ الزمخشري للتصوير الاستعاري في قوله: التالد – طريف؛ على سبيل الاستعارة التصريحية التي شبه فيها الشرف بالوالد والافتخار به بالشيء القديم، وكذلك شبه الفخر بالمنجز الشخصي بالشيء الجديد الطريف، وفيهما تجسيم عبر عنه التصوير الاستعاري.

واتفق المؤلفان في الكتابين موضع المقارنة بالاعتماد على الاستعارة التصريحية التي تجسم

المعنى، مع ميله إلى التجسيم في إطباق الأطباق؛ لتشبيهه معنوي (الضلال) بمعنوي (الشحوات)، في مقابل اعتماد الزمخشري على توضيح المعنوي (الشرف) في صورة حسية (المنجز)، وفيه تجسيم، مع مراعاة الميل إلى التصوير المركب لديه، الذي يستشف فيه القارئ المشبه والمشبه به من السياق نفسه.

وأورد ابن أبي إسحاق في مقالته الرابعة والأربعين المعنونة (في مدح السكوت وذم التكلم): "ما لِلمرءِ واقٍ مِنَ الدَّوامِك إِلَّا الصَّمْت، وَلا غامِصَ لَهُ إِلَّا التَّذرع والشَّمْت، الصُّمتُ يُكْسِبُ أَهلَه المَحَبَّةَ، وَالإِكْثارُ يُكْسِرُ الوِقارِ" (أسعد أفندي، ص135).

أتى ابن أبي إسحاق بالاستعارتين المكنيتين (الصمت يكسب المحبة – الإكثار يكسر الوقار)، وشبه فيهما الصمت بالإنسان الذي يكسر، والمحبة بالشيء المكسور، وكذلك الإكثار في مقابل الوقار)، وهو ما يشير إلى التنويع بين التشخيص والتجسيم في الصورة.

أما الزمخشري، فقد أتى بالاستعارة المكنية في مقالته الرابعة والأربعين المعنونة (مثل للمتقي الكَبَائر المحتقر الصغائر)، في قوله: "هَبْ أَنَّكَ اتَّقَيْتَ الكَبَائِرَ التِّي نُصَّتْ، وَتَجَنَّبْتَ العَظَائِمَ الَّتِي قُصَّتْ، وَرُضْتَ نَفْسَكَ مَعَ الرَّائِضِينَ" (الزمخشري، ص123).

نلاحظ تعدد الاستعارات المكنية التي أتى المتكلم بها، كقوله: اتقيت الكبائر، فشبه الكبائر بالإنسان الذي يُتقى، وفيه تشخيص أضفى حيوية على الصورة، وقوله: تجنبت العظائم، شبه العظائم بالإنسان كذلك، مما امتدت فيه عناصر الحيوية في الصورة، في مقابل الاستعارة المكنية (رضت نفسك)، التي شبه فيها المتكلم النفس بالحيوان غير المستأنَس الذي يخضع لعملية ترويض، وكأنه أراد التنويع بين التشخيص والتجسيم في الصورة.

وأورد ابن أبي إسحاق في مقالته الثامنة والعشرين المعنونة (في لزوم الجماعات والعبادات): "كُن مِن أَثمار أَشجارِ العِبادَة في الخَرَف، ولا تَكُن كَمَن يَعْبُدِ الله على حَرفٍ، وأَدِمِ على مُرونِ الجَماعات مَشيَتَكَ" (أسعد أفندي، ص104).

وقع التصوير الاستعاري في قوله: وأَدِم على مرون الجماعات مشيتك، فشبه الماشي إلى الجماعات بالإنسان الذي يتمرن ويتدرب على العبادة، وهو ما أضفى عنصر التشخيص على الصورة، وجعل لها من الحيوية وعنصر الحركة ما لا يكون إلا للإنسان.

وكان من وجوه الاتفاق بين المؤلفين الاعتماد على عنصر التشخيص، في حين مال ابن أبي إسحاق إلى التشابك في الصورة، في مقابل بساطتها لدى الزمخشري.

واعتمد الزمخشري على التشبيه في مقالته السادسة عشرة المعنونة (فعل الإنسان دليل على أصله): "والرَّزِينُ المُحْتَبى بِحِمَالَةِ الحِلمِ يَنْفِرُ نَفْرَةَ الوَحْشيِّ عَنِ الظُّلْمِ" (الزمخشري، ص76).

وقد اعتمد الزمخشري في تصويره للعاقل الرزين على التشبيه البليغ في قوله: حمالة العلم، وهو من باب إضافة المشبه إلى المشبه به (الدمشقي، 1996، ص446)، وفيه تجسيم للعلم بالحمالة التي تحمل الشيء. كذلك، قوله: ينفر نفرة الوحشي، وهو تشبيه بليغ من باب الجمع بين الفعل وفاعله (المشبه) والمفعول المطلق (المشبه به).

أما أسعد أفندي فقد لجأ إلى التشبيه في مقالته الثالثة والأربعين المعنونة (في عدم المعصية والاجتهاد قدر الوسع): "تَحْتَرِقُ جثمانك بوَغْرَةِ العِصْيان، وأَنْتَ في لُجَّةِ الإيمان ريَّان هَيْمان" (أسعد أفندي، ص133).

وقع التشبيه البليغ في قوله: وغرة العصيان، وهو من باب إضافة المشبه إلى المشبه به، في مقابل التشبيه البليغ (أنت ريان)، وهو من باب إسناد الخبر إلى المبتدأ.

ونلحظ ميل المؤلفين إلى التشبيه البليغ الذي يمزج حالة بحالة، على النحو الذي يجوز فيه أن يكون تشبيهًا تمثيليًّا، (السكاكي، ص349)، لا سيما لدى ابن أبي إسحاق الذي يجوز في قوله: وأنت في لجة الإيمان ريَّان هيمان؛ نظراً لتعدد المشبه به، وهو ما يسحب حالة الإنسان الحائر الذي يتخبط في متاهات الدنيا الواسعة بحالة النبات الذي يضطرب ويتأرجح حين تهزه الريح.

ويجوز ذلك فيما أورده ابن أبي إسحاق (ينفر نفرة الوحشي)؛ ليعقد وجه شبه بين حالة العاقل الرزين الذي يستهجن الحماقة ونظيرتها لدى الوحشي الذي ينفر ممن حوله.

يضاف إلى ذلك اتفاق المؤلفين في انتزاع التشبيه من البيئة المحيطة، وهو ما أبعد التشبيه لديهما عن التكلف والغرابة.

ومن الانزياح بالكناية ما أورده الزمخشري في مقالته الرابعة والستين المعنونة (أنذرك المشيب): "مَالِي أَرَاكَ صَعْبَ المِرَاسِ، جَامِحَ الرَّأسِ، كَأَنَّ وَافِدَ المَشِيبِ لَمْ يَخْطِمْكَ، الشَّيْخُوخَةُ تُكْسِبُ أَهْلَهَا سَمْتًا" (الزمخشري، ص155) إذ تعددت الكنايات عن صفة في المقالة، مثل: أراك صعب المراس، كناية عن صفة الاندفاع والتهور، وقوله: جامح الرأس، كناية عن صفة الحماقة التي لا تتناسب مع تقدم العمر، فضلًا عن قوله: الشيخوخة تكسب أهلها سمتًا، كدليل على اقتران الشيخوخة بالرزانة والوقار بين الناس.

وأورد الزمخشري في مقالته التاسعة والأربعين بعنوان (سعيٌ بلا طائل): "مُضْطَرِبُ النَّهَارِ

في المَعَاشِ، مُنْبَطِحُ اللَّيْلِ عَلى الفِرَاشَ، عَلى ذَلِكَ طَوَى بِيْضَهُ وَسُودَهُ، حَتّى أَقْحَلَتِ السُّنُونَ عُودَهُ" (الزمخشري، ص132).

ولوحظ اعتماده على الكنايتين: مضطرب النهار في المعاش، منبطح الليل على الفراش، كنايتان عن صفة الحيرة والتردد، واللهاث بين دروب الدنيا المتفرقة، وفيهما تجسيم، وزاد قوتهما انتزاعهما من الحياة اليومية ليكونا محل اتفاق من السامع. فقد جاءت الكناية لدى الزمخشري تلقائية محببة إلى النفس منتزعة من واقع الحياة، على النحو الذي يتفق فيه السامع مع المؤلف.

2- التكرار وأثره في وظائفه الجمالية والدلالية

ومنه التكرار الصوتي للحرف الذي نجده في مقالات المؤلفيْن، وهو ما نجده في كتاب (أطواق الذهب)، مما أورده الزمخشري في مقالته الحادية والثلاثين المعنونة (لا تأمن مكر الله)، وجاء فيها: "قَلْبَكَ آمِنٌ، وَجَاشُكَ مُتَطَامِنٌ، وَرَأْيُكَ في الشَّهَوَاتِ بَاتِرٌ، وَشَوْقُكَ إِلى ما عِنْدَ اللهِ فَاتِرٌ" (الزمخشري، ص101).

إذ كرر الزمخشري حرف الميم في قوله: آمِن – متطامن، وكان لطبيعة الميم الصوتية ما يدعم حالة التطامن والاسترخاء، على النحو الذي ساعد عليه كسر الحرف؛ ليتسق المنحى الصوتي مع نظيره الدلالي، ويعكس حالة من الانكفاء على الذات، والتبلد واللامبالاة.

وأورد ابن أبي إسحاق في مقالته الثانية والثلاثين المعنونة (في ذم حب الدنيا وأربابها): "ويا دَنَّ هاتيكَ القواذير، بِأُمِّ جَمِّ المال تَحْتَرق وتَغْتَمّ، أَما تَعلم أَنَّه في الدِّينار نارٌ، وفي الدِّرْهمِ هَمٌّ" (أسعد أفندي، ص113).

تكرر عنده حرف الراء الذي يتسم بتكرير صوتي يناسب النصيحة والإلحاح على صاحب الدنيا أن يهجرها، كذلك جاء حرف الميم في قوله: تغتمّ – همّ، والميم "حرف مجهور شديد متسفِّل منطبق" (العكبري، 1995، ص468)، ولا سيما أنه ورد مشددًا، وهو ما يطيل من إيقاعه الصوتي ليؤكد فكرة النصيحة.

واتفق المؤلفان: الزمخشري وابن أبي إسحاق في الميل إلى توافق الصوت مع المعنى، الأمر الذي يشير إلى حسن انتقاء اللفظ ذي الجرس الصوتي المعبِّر.

وفي تكرار حروف الحلق، وهي: "الخاء، والغين، والعين، والحاء، والهاء، والهمزة" (ابن السكيت، ص161).

أورد ابن أبي إسحاق في مقالته السابعة والخمسين المعنونة (في ملاقاة البخيل والشحاذ وتخاصمهما): "وشَحَّاذٌ أَيُّ شَحَّاذ، لَو تكففَّ إلهافًا، يَسألُ إلحافًا" (أسعد أفندي، ص157).

ونلحظ تكرار حروف الحلق في الجملة السابقة: الحاء (شحاذ – إلحاف)، والهاء (إلهاف)، وهو ما ناسب حالة الاستجداء، والإلحاح على السؤال، مع الاستطالة الصوتية للمد بالألف، الذي أدَّى صوتيًّا معنى الإلحاح المضاعف.

أما الزمخشري فقد اعتمد على تكرار حروف الحلق في مقالته الخامسة والسبعين المعنونة (زن كلامك قبل نطقه)، مما ورد في قوله: "رُبَّ سِلَاحٍ يَقُولُ لِحَامِلِهِ: ضَعْنِي، وَرُبَّ كَلِمَةٍ تَقُولُ لِقَائِلِهَا: دَعْنِي" (الزمخشري، ص169).

كرر الزمخشري حروف الحلق: الحاء (سلاح – حامل)، والعين (ضعني – دعني)؛ لتأكيد حالة الإلحاح الشديد على المندفع بقوله قبل التروي ومؤامرة العقل، وهو تكرار (رب) التي أفادت الكثرة؛ لتأكيد أن المنزلق بالكلمة في حاجة ماسة إلى التقويم المطلوب.

واتفق المؤلفان في انتقاء الألفاظ ذات الحروف التي تعبر عن المعنى صوتيًّا، وتضاعف أثره في نفس المتلقي، مع المباعدة الصوتية بين حروف الحلق، وهو معيار التزم به المؤلفان؛ وفقًا لما أورده أهل العلم، ومنهم ابن جني في قوله: "واعلم أن هذه الحروف كلما تباعدت في التأليف كانت أحسن، وإذا تقارب الحرفان في مخرجيهما قبح اجتماعهما" (ابن جني، 2000م، ص79).

وفي تكرار البنية المفردة، أورد الزمخشري في مقالته السادسة والثمانين المعنونة (عليك بعلوم الدين): "رُبَّ عُلُومٍ لا تَنْفَعُ، وأَعْمَالٍ لا تَرْفَعُ، ولَيْسَ لِأَهْلِهَا مِنْهَا إِلَّا كَدُّ القَرَائِحِ، وكَدْحُ الْجَوَارِحِ، فَأَهْلًا بِمَنِ اسْتَخْلَصَ العُلُومَ الدِّينِيَّةَ، وأَخْلصَ الأَعْمَالَ بالنِّيَّةِ" (الزمخشري، ص180).

عمد المؤلف إلى تكرار بنيات مفردة بعينها، وهو ما جعل المتلقي يتفاعل مع القضية الواردة التي تحض على تعلم العلوم الدينية، فكرر المتكلم (العلوم) في قوله: رب علوم لا تنفع– فأهلًا بمن استخلص العلوم الدينية، ونلحظ ورود اللفظ مكررًا في سياق الذم والمدح في الجملتين: الأولى والثانية، وهو ما يعكس مفارقة بين إهمالها والإقبال عليها.

كذلك كرر المتكلم البنية المفردة (الأعمال) في قوله: أعمال لا تُرفَع – أخلص الأعمال بالنية؛ ليفارق بين إهمالها والإقبال عليها.

وأورد ابن أبي إسحاق في مقالته السبعين المعنونة (في علامات السعداء والأشقياء): "السَّعِيدُ مَن أَصْعَدَهُ الله أَوْجَ الشَّرَفِ بِلا هُبُوطٍ وصَعَد، وأَسْعَدَ بَدْرَ قَدْرِه في رَفِيعِ يُمْنٍ وسَعَد" (أسعد أفندي، ص179).

كرر المتكلم البنية المفردة (السعيد – أسعد – سعد)؛ لتأكيد أن السعيد حقًّا هو من كرَّمه الله تعالى بالسعادة، على النحو الذي يشير إلى مجازاة العبد بعمله في الدنيا والآخرة.

كذلك كرر المتكلم (أصعده – صعد) على سبيل الجناس بين معنى الارتقاء والتعب والمجهود؛ من باب ربط السبب بالمسبب، وهو ما اتسق مع تكرار مشتقات السعادة من منظور المجازاة الإلهية.

واتفق المؤلفان في الاعتماد على البنية المفردة، وإن مال الزمخشري إلى تكرار البنية المفردة في صورة الجمع؛ ليشمل عموم الأنشطة الإنسانية، في حين مال ابن أبي إسحاق إلى تكرار اللفظ ومشتقاته؛ ليجمع بين التركيز على الفعل نفسه ونتائجه المترتبة عليه من ناحية أخرى.

ومن تكرار الجملة أورد الزمخشري في مقالته التاسعة المعنونة (افدِ نفسك بمالك): "أَلَا أُخْبِرُكَ بالشَّقِيِّ المَخْذُولِ، ذِي المَالِ المَصُون، وأَلَا أُخْبِرُكَ بالسَّعِيدِ المَنْصُورِ، ذِي الجَنَاب المَمْطُورِ" (الزمخشري، ص65).

عمد المتكلم إلى تكرار جملة الاستفهام (ألا أخبرك)؛ لتأكيد أبعاد القضية التي يتناولها، وهي الإنفاق في سبيل الله، وجاء الاستفهام للتقرير، وهو ما أكد الفكرة التي قصد المتكلم إلى طرحها، وناظر بين حالتين: إيجابية وسلبية في سبيل إقناع المتلقي بجداوها.

وقد اتفق المؤلفان في اللجوء إلى تكرار الجملة مع الاختلاف في الغرض، واستهدف ابن أبي إسحاق تشويق المتلقي، بحيث يفرق له بين مصير الشقي والسعيد، وهو ما يفسر تصديره للمقالة بالاستفهام (ألا أخبرك).

3- أنماط الإضافة وأثرها الدلالي

ويمكننا تناول هذا المبحث في كتاب (أطواق الذهب في المواعظ والخطب)، مقارنة بما أورده ابن أبي إسحاق في كتابه (إطباق الأطباق) من منظور أنماط الإضافة، ومن ذلك ورود المصدر بمعنى المشتق.

ما أورده ابن أبي إسحاق في مقالته السابعة المعنونة (في الخمول وعدم الشهرة): "كَنْزُ الوليِّ مَليٌّ مَخْتُوم، وجَنْزُ النَّزِيِّ خَلِيٌّ مَهْدُوم" (أسعد أفندي، ص٥٩) فأتى المؤلف بالمصدرين: كنْز – جنْز، بمعنى: الكانِز والجانِز، فنابا عن مشتقيهما.

وأورد الزمخشري في مقالته السابعة والتسعين المعنونة (عليك بذات الدين): "لا تَخْطُبِ المَرْأَةَ لِحُسْنِهَا، ولَكِنْ لِحُصْنِهَا، فَإِنِ اجْتَمَعَ الحُصْنُ والجَمَالُ، فَذَاكَ هُوَ الكَمَالُ" (الزمخشري، ص191).

وأورد المؤلف المصدر الذي هو بمعنى المشتق في قوله: فإن اجتمع الحُصن والجمال، فكان المصدر (الحُصن) بمعنى (المحصنة) كصفة للمخطوبة، وهو ما جمع به المؤلف بين الفعل نفسه

والمفعول به الذي أسند إليه الفعل، الأمر الذي أكد الفكرة لدى المتلقي.

واتفق المؤلفان في توظيف المصدر للتعبير عن المشتق، وهو ما يوحي بالتركيز على الفعل نفسه لا الذات الفاعلة، الأمر الذي يناسب النصيحة العامة التي يسوقها كلاهما.

واتفق المثال السابق (الحصن) مع نمط نيابة المصدر عن اسم المفعول، في مقابل ما أورده ابن أبي إسحاق في مقالته العاشرة المعنونة (في الصاحب والرفيق): "واشدُد شَطنَ الثَّبْرَ على أَخِيَةِ تَأْخِيه بِالصَّون واللِيان" (أسعد أفندي، ص67).

ونلحظ قول المؤلف: أخية تأخيه، والمقصود: أخِية مؤاخاته، فأضاف المصدر إلى اسم المفعول معنى.

واتفق المؤلفان في إضافة المصدر إلى الألفاظ التي نابت عن المشتقات في المعنى، وهو ما يبرز المقصود ويوضحه، فضلًا عن إعمال عقل السامع فيما يرد من الكلام.

ومن إضافة المصدر إلى معموله ما أورده ابن أبي إسحاق في مقالته السابعة والثمانين المعنونة (في الأمل والغفلة عن الموت): "يا مَن تَبَوَّءَ في غِيْل الأُمْنِيَّة، إِيَّاكَ مِن رَأبيل المَنِيَّةِ، قَصِّر تَطْوال التَّطَلُّبِ بِالعَجَلِ" (أسعد أفندي، ص205).

ونلحظ إضافة المصدر إلى معموله في قوله: غيل الأمنية، والتقدير: غالته الأمنية، بمعنى استعبدته وسيطرت عليه، وفيه اهتمام من المتكلم، وتركيز على الفعل نفسه، الذي شبهه بالاغتيال والقتل؛ كون الغفلة سببًا في موت القلب.

وتكرر الأمر في قوله: تطوال الطلب، والتقدير: أطلتَ الطلب، وتكررت فيه الوظيفة الدلالية التي تركز على الفعل، وهو الإطالة والإلحاح، وضاعف الأمر (قصِّر) من دلالة التركيز على الفعل نفسه؛ كونه المأمور بتركه والاقتصار عنه.

وأورد الزمخشري في مقالته الثالثة والثلاثين المعنونة (لن ينفعك مالك في الآخرة) ونصه: "يا عَبْدَ الدِّينَارِ والدِّرْهَمِ، مَتى أَنْتَ عَتِيقُهُمَا؟" (الزمخشري، ص105).

ووقعت الإضافة في قوله: عبد الدينار، وهو من باب إضافة المصدر إلى مفعوله (ابن عقيل، 1980، ص105) والتقدير: عبدتَّ الدينار والدرهم، وهو ما وظفه المتكلم في التركيز على الفعل نفسه (العبادة) في مقابل إبراز المعبود (الدينار والدرهم)، وتجاهل الفاعل لكثرته وصعوبة حصره.

واتفق المؤلفان في هذا المنحى، وهو التركيز دلاليًّا على الفعل الذي أتى في صورة المصدر، مع إبراز الأثر الدلالي للمعمول، سواء أكان فاعلًا أم مفعولًا.

ومن إضافة المصدر إلى معناه ما أورده الزمخشري في مقالته الثالثة المعنونة (الحياة ساعة): "عُمْرٌ يَنْقَضِي مَرَّ الإِعْصَارِ، وأَنْتَ تَرْجُوهُ مَدَى الأَعْصَارِ" (الزمخشري، ص55).

إذ أتى المتكلم بالمصدر (مرّ) من الفعل (مرَّ يمرُّ)، والإعصار بمعنى المرور، من الفعل (عصر يعصِرُ)، وهو ما وقع فيه المصدر مضافًا، ومعناه أو مرادفه مضافًا إليه.

وتكرر هذا في قوله: مدى الأعصار، فكان المدى بمعنى الزمن الممتد، وكذلك الأعصار بمعنى العصور والأزمنة، ولجأ المتكلم إلى هذا المنحى لتأكيد فكرة الزوال، وعدم استمرار الأشياء على أحوالها.

وأورد ابن أبي إسحاق في مقالته الخامسة والعشرين المعنونة (في التصبُّر والتثبُّت والتحمل الأذى لمثوبة الأخرى): "طُوبى لِلْمُتَبَصِّرين باعْتِصامِ حَبْلِ التَّحمال" (أسعد أفندي، ص99).

فأتى بالحبل، و"الحاء والباء واللام أصل واحد يدل على امتداد الشيء. ثم يحمل عليه" (ابن فارس، 1979، ص130)، فكان الإضافة من باب إضافة المصدر إلى معناه.

ومن إضافة الخاص إلى العام (السامرائي، 2000، ص133) ما أورده ابن أبي إسحاق في مقالته التاسعة والعشرين المعنونة (في التغيرات والانقلابات)، وجاء فيها متحدثًا عن تقلب الزمن: "ألا تَرى أنَّ الآثار فيه رثوث، والتغيرات دليل الحدوث" (أسعد أفندي، ص106–107).

ووقعت إضافة المصدر إلى معناه في قوله: التغيرات دليل الحدوث، فأضاف المصدر (دليل)، من الفعل دلَّ يدل، وهو الخاص، إلى العام (الحدوث)؛ لأن الدليل بداية الحدوث، فهو جزء منه.

وأورد الزمخشري في مقالته الثانية والثلاثين المعنونة (عقاب الظالم قد يمتد إلى قريته)، ونصه: "أَلَا أُحَدِّثُكَ عَنْ بَلَدِ الشُّومِ، ذَلِكَ بَلَدُ الوَالِي الغَشُومِ، الغَشْمُ أَدْوَسُ مِنْ حَوَافِرِ الخُيُولِ" (الزمخشري، ص103).

ووقعت الإضافة في قوله: حوافر الخيول، والحوافر خاص، والخيول هي العام، وأكد المتكلم بها سرعة انقلاب الظلم على صاحبه.

واتفق المؤلفان في استعمال هذا النوع من الإضافة دلاليًّا؛ إذ انتقل المعنى من الضيق إلى السعة الدلالية، وفيه حسن الربط بين المعاني؛ لأن هذا التدرج انتقل بخيال السامع من خصوصية المعنى إلى عمومه، الأمر الذي خدم جوهر الموضوع.

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث، توفرت مقومات الانسجام في (كتاب إطباق الأطباق)، مثل: المرسل أو المؤلف، والمتلقي الحقيقي والافتراضي، المستمع أو القارئ، والحضور، والموضوع أو مدار الحدث الكلامي، وتمحور حول النصح، والمقام، وجاء زمان الحدث ومكانه التواصلي افتراضيين غالبا، بينما تنوعت التعبيرات الفيزيائية بين الانقباض والانبساط بحسب الموضوع، والقناة تمثلت في كيفية التواصل بين المشاركين في الحدث الكلامي: كلام، كتابة، إشارة، اعتمدت على الكتابة في الأكثر، والنظام (اللغة أو اللهجة). اعتمد على الألفاظ الفصيحة عموما، والاقتباس من آيات القرآن في بعض المواضع، وشكل الرسالة التي اتخذت صورة الموعظة في جل المواضع، والمفتاح والغرض، وهو ما ساعد على تحقق الانسجام بين أجزاء المقالة.

ولوحظ اتفاق ابن أبي إسحاق مع الزمخشري على مستوى اللغة، والانزياح، والتركيب؛ من خلال دراسة مقالات أكاديمية لمباحث دلالية مختلفة، فقد اتفق المؤلفان في اختيار اللفظ الفصيح، والقدرة على مزجه بالصورة التي تمثل الانزياح الدلالي، من استعارة وتشبيه وكناية، فضلا عن التركيب الذي تميز فيه ابن أبي إسحاق بالغزارة، لا سيما في باب الإضافة، فيما قلّت الشواهد لدى الزمخشري في هذا الصدد.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

أولاً: المصادر

- ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (ت244هـ)، **إصلاح المنطق**، تح: محمد مرعب، ط1، دار إحياء التراث العربي، 1423هـ/2002م.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت392هـ)، **سر صناعة الإعراب**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1421هـ/2000م.
- ابن عقيل بهاء الدين عبد الله (ت769هـ)، **شرح ابن عقيل**، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط20، دار التراث القاهرة، ودار مصر للطباعة سعيد جودة السحار وشركاه، 1400هـ/ 1980م.
- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (395هـ)، **مقاييس اللغة**، تح: عبد

السلام محمد هارون، د.ط، دار الفكر، بيروت، 1399هـ/1979م.

- ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين الإفريقي المصري، **لسان العرب**، ط1، دار صادر، بيروت.
- أسعد أفندي، محمد بن أبي إسحاق إسماعيل بن إبراهيم العلانية وي الرومي (ت1166هـ)، **إطباق الأطباق**، تح: بسام الأغبر، ط1، دار نقطة، بيروت، 2024م.
- الدمشقي، عبد الرحمن بن حسن حبنّكة الميداني، **البلاغة العربية**، ط1، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، 1416هـ/1996م.
- الزمخشري، محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي (ت538هـ)، **أطواق الذهب في المواعظ والخطب**، تح: أحمد عبد التواب عوض د.ط، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت.
- السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (ت626هـ)، **مفتاح العلوم**، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه نعيم زرزور، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1407هـ/1987م.
- العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله البغدادي محب الدين (ت616هـ)، **اللباب في علل البناء والإعراب**، تح: عبد الإله النبهان، ط1، دار الفكر، دمشق، 1416هـ/1995م.

ثانياً: المراجع

- بوقرة، نعمان، **المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب: دراسة معجمية**، ط1، جدارا للكتاب العالمي، عمان، الأردن، 2009م.
- الفقي صبحي إبراهيم، **علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية**، ط1، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1431هـ/2000م.
- خطابي محمد، **لسانيات النص**، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1991م.
- السامرائي، فاضل صالح **معاني النحو**، ط1، الناشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع الأردن، 1420هـ /2000م.
- الشقيرات، أحمد صدقي، **تاريخ مؤسسة شؤون الإسلام في العهد العثماني**، ط1، دار الكندي، الأردن، 2002م، ج2.